العلاقات الاميركية ــ الاسرائيلية في خريف ١٩٥٣ ــ حيث لجأت أوساط نظارة الخارجية الاميركية الى التهديد بقطع المساعدات او تجميدها ــ ربما دفعا بن غوريون الى التشدد في موقفه من الحركة الصهيونية ومطالبتها بتقديم المزيد . ومن ضمن هذا الاطار سوف نعرض للاراء التي اوردها بن غوريون حينذاك في مقاله الطويل بعنوان «البقاء اليهودي» والذي استغرق خمسين صفحة من الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل (١٩٥٣ ــ ٥٤).

الصهيونية هي الهجرة الى اسرائيل

أراد بن غوريون في مقاله المشار اليه أن يعرب عن خيبة أمله للاخفاق الذي مني بـــه قانون العودة والاحباط الذي أصاب الامال المعقودة على مفعول هذا القانون . فأخذ على الصهيونية في ظل الدولة ما يلي : « عندما فتحت أبواب الوطن على مصراعيها ووصلت الموجة الاولى في عملية تجميع المنفيين ، تبين ان الصهيونية والهجرة الى اسرائيل لم تعد الواحدة منهما مترابطة داخليا بالاخرى على الاطلاق . فالصهيونية لا تنطوي علـــى اي التزام بالهجرة الى اسرائيل ، والهجرة لا تتدفق على البلد لاسباب ترجع الى الايديولوجية الصهيونية »(١٠).

ويستفاد من تلميحات رئيس الحكومة الاسرائيلية ان اليهود الذين هاجروا من الولايات المتحدة وكندا الى اسرائيل خلال السنوات الخمس الممتدة من ١٩٤٨ الى ١٩٥٣ لا يتجاوز عددهم ما مجموعه ١٤٨٠٩ اشخاص . هـــذا العدد الضئيل لا يتكافأ مع قوة الحركـــة الصهيونية عدديا في اميركا الشمالية . والشواقل التي جرى بيعها وتوزيعها من ١٩٤٩ الى ١٩٥١ ، وكان نصيب الولايات المتحدة ٧٠ بالمائة من مجموعهـــا ، تشير ايضا الى انعدام التكافؤ بين القوة العددية والاقبال الصهيوني . لذا يرى بن غوريون ان (بوصلة) الحركة الصهيونية قد أنحرفت عن الاتجاه المنشود وطرأ عليها التبدل الجذري . فيقول عنها ما يلي : « وكذلك الحركة الصهيونية تغيرت كليا . فهي لم تعد تتطلع صوب الهدف المقرر لها طيلة سنواتها الخمسين الاولى . ان بوصلة الحركة لم تعد تؤشر نحو القطب المغناطيسي التـــاريخي : العودة الى صهيون . والفصل بـــين الهجرة الى اســـرائيل والصهيونية أوجد فراغا خطيرا . وان لم يتم ملء هذا الفراغ بنوع من المحتوى الجديد والمضمون الايجابي ، فهو سوف يؤدي الى انهيار الحركة »(١١).

ان رئيس حكومة اسرائيـــل لا يقرع ناقوس الخطر على الصهيونية الا لحمل المزيد من الصهيونيين في بلدان الغرب على المجيء الى اسرائيـــل والاستيطان فيها . ومما تجدر ملاحظته ان الصهيوني العتيق بن غوريون يناشد الصهيونيين خارج اسرائيـــل « النظر الى هذه الحقيقة بوضوح واستجلاء مضامينها الكاملة . فالحقائق التاريخية يجب الا تثير الاستياء والاستنكار او الغضب » . فالحقيقة التي يعلنهـــا للتاريخ هي التالية : « منذ انشاء الدولة كان على الصهيونية ان تواجه امتحانا عسيرا ، لا بل أعلى امتحان . ولم تنجح فيه . لانه عندما أعطي الخيار بين المجيء الى اسرائيل او البقاء في المنفى ، اختارت الجماهير الصهيونية ــ كما اختار زعماؤها على حد سواء ــ البقاء حيث هي . وجرى توضيح الامر بصورة جلية تماما : بان الصهيونية في الصيغة التي اتخذتهـــا منذ انشاء الدولة لا تعني الهجرة الى اسرائيل ولا تتطلب اي توحدن شخصي مع بنائي صهيون . هكذا هي الصهيونية في اميركـــا وانجلترا وجنوب افريقيـــا ومعظم بلـــدان اوروبـــا الغربية »(١٢).

ومع ادراك بن غوريون للفارق الاساسي بين الصهيونية الاوروبيـــة (التي يدعوهـــا بـــ «صهيونية الانعتاق الذاتي») والصهيونية الاميركية (ويسميها بن غوريون دون تردد « صهيونية التبرع والاحسان ») فانه يفضل الاولى على الثانية لانها تجمع في نظره بين « الخلاص الشخصي والفداء القومي » ان ما يزعج رئيس حكومة اسرائيل هو «الفراق»